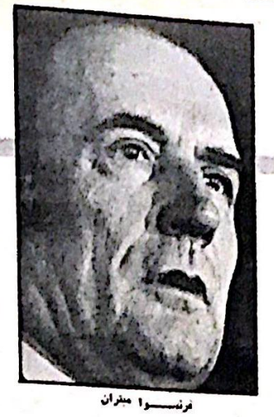

فرنسوا ميتران

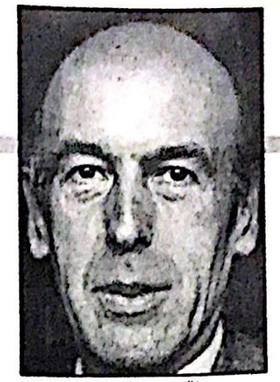

عالیري جيسكار ديستان

عشيّة الانتخابات الرئاسيّة في فرنسا :

طريق النضال في الثورة البروليتارية ام طريق الصناديق ؟ التنازل عن الاستقلال الوطني ام النضال من اجل الاستقلال ؟ الاضطهاد الاستعماري ام تأييد نضال الشعوب العادل ؟

من الذي سينعم بكرسي الرئاسة ، لسبع سنوات ، في فرنسا ؟ فرنسوا ميتران ام فاليري جيسكار ديستان ؟ هذا السؤال ثان ، ولا يزال ، لتشغل الشاغل لوسائل الاعلام العربية والعالمية، بما فيها الوطنية وحتى التقدمية . وللاسف الشديد ، بقيت الصحافة العربية التقدمية تدور في فلك الطرح البرجوازي ، على شاكلة : « هل انت مع ميتران ام ضده ؟ وهل انت مع ديستان ام ضده ؟ » وبعد ان تجيب بنعم او لا ، يبدأ النقاش ! هكذا وبكل بساطه ، نبدأ بالنتائج وننتهي بالاسباب بدل ان يكون العكس . ولم نر الى الان صحيفة تقدميه خرجت عن هذا الطرح ، جوهريا . او حاولت ان تنفذ الى جوهر الموضوع ، محطة جوانبه الاساسية ، تعني محاولة الغوص بثلاثة مسائل اساسية ، هي التي تمكننا وحدها من فهم الانتخابات الفرنسية ، وابداء الراي فيها . وهذه المسائل الثلاث هي : ١ – الوضع الداخلي لطبقة الاحتكارات الراسمالية الحاكمه وانجاهاتها ، وتنافضها مع الطبقة العاملة الفرنسية وسائر الكادحين ٢ – السياسة الفرنسية الخارجية ضمن الوضع الدولي الراهن ٣٠ – سياسة فرنسا تجاه القضية العربية عموما والفلسطينية خصوصا .

هذه المسائل الثلاث سنبحثها من خلال رؤية التيارات والمصالح المتصارعة في الحملة الانتخابية الثانية لرئاسة الجمهورية الفرنسية ، والتي ستجري في ١٩ ايار الحالي .

١ – الوضع الداخلي

لقد اصبح واضحا للجميع ، ان الامبريالية العالمية والاقتصاد الراسمالي العالمي ، اصبحا يعانيان من ازمات اقتصادية وسياسية واجتماعية عنيفة جدا – تكلمنا عنها كثيرا في « الهدف » – تشكل عقبات حقيقية وقوية تضرب الاساس الاقتصادي الراسمالي من جذوره . وفرنسا كدولة امبريالية لا تخرج خصوصا من الاحتكارات المصرفية الكبيرة ورجال الاعمال والملايين ... وممثلها هو فاليري جيسكار ديستان ،وزير المالية وزعيم الحزب الجمهوري الجديد. كما انه سيمثل ، في حال فوزه ، ربط فرنسا تماما في حلف شمال الاطلسي وامريكا خصوصا . لذا ، فان وصوله الى كرسي الرئاسة سيؤدي الى تعظيم كل السياسة الداخلية ، التي تميزت بعكس سياسة ديستان ، وسيؤدي ايضا الى استلام الاحتكارات الراسمالية الفاشية ، نظام الحكم ، مما يعني قيام ديكتاتورية فاشية بوجوه مدنية ، يتحمل نتائج قيامها الشعب والطبقة العاملة الفرنسية .

وماذا يعني ايضا سيطرة الاتجاهات الفاشية بقوة في فرنسا ؟ يعني ان الديموقراطية البرجوازية التي كانت موجودة في عهدي ديغول وبومبيدو ، يجب قبرها وتركيع الشعب . في اطار هذا المخطب للاحتكارات الفاشية ، ماذا يعني وصول فرنسوا ميتران ، مرشح اليسار الموحد وزعيم الحزب الاشتراكي ، الى الحكم ؟

اول ما يعنيه وصول ميتران ، على الاقل في البداية ، هو القيام ببعض الاصلاحات البرجوازية الديمقراطية ، التي وان لم تكن اكثر مما كان في عهد الديغولية ممثلها . وهذا سيحدد من اتجاهات ومحاولات الاحتكارات الفاشية للاطاحة به ، وهذه المرة من طريق الجيش مباشرة ، بالاضافة الى ان الجيب التحريضي للجيش وسائر الراسماليين موجودة ، وهو القول بان « الشيوعية قد اصبحت في الحكم » (!)

هذا من ناحية ، اما من ناحية اخرى ، فان ميتران يمثل هو ايضا احتكارات راسمالية فرنسية وقطاع لا باس به في البرجوازية الكبيرة . وبالنسبة لتاريخه السياسي ، فان

استعادته ضرورية ، خصوصا انه لا زال « يحن » الى ماضيه ويرتبط فيه . وسنبدا بما قالته صحيفة الحزب الشيوعي الفرنسي « اومانيتيه – ديمانش » في ١٩٤٨/١١/١٤ :

– « انه – اي ميتران – مساعد وزير دولة مسؤول عن الاعلام . وعلى هذا الاساس فهو المسؤول الرئيسي عن تعميم الاكاذيب . فهذا الوزير المساعد الذي يشبه الى حد بعيد ، في حركاته ، ممثل سينمائي طالع ، كان من اوائل « الفيشيين » – نسبة لفيشي النازي – في فرنسا . وكان من نصيبه ، بناء على ذلك ، ان يسجل اسمه في لائحه الشخصيات الكبيرة التي نالت وسام « الفرنسيك » – الفرنسيين – وقد ورد اسمه في هذه اللائحة على النحو التالي : ...»

ان منح وسام « الفرنسيك » كان يعطي بعد ان يؤدي الشخص اليمين التالي : « انني امنح شخصي للمارشال « بيتان » – هو ممثل النازية الالمانية في فرنسا – هو منح شخصه لفرنسا (!) . انني اتعهد بخدمة مبادئه وتعاليمه وان ابقى وفيا لشخصه ولمنجزاته » ، هذا هو القسم الذي اداه ميتران . ومن وفائها حتى اليوم لم يقم ميتران بنقد نفسه على موافقه العميلة للالمان في الحرب العالمية الثانية ، وايضا لم يقم الحزب الشيوعي الفرنسي ، الذي يؤيد ميتران الان ، بخلاف فيه المعلومات الدقيقة التي اوردتها صحيفته في عام ١٩٤٨ . هذا في الوقت الذي يجب ان لا ننسى الوف المناضلين الشيوعيين والوطنيين الذين لوحقوا ، وعذبوا، وقتلوا ، واغتيلوا ، بين ١٩٤٠ و ١٩٤٤ على يد النازيين بمباركة المتواطئين العملاء ، ومن بينهم ميتران .

عام ١٩٤٧ كان ميتران وزيرا في حكومه « رامادييه » المعروفه بارتباطاتها الداك بوكالة الاستخبارات الامريكية . وبصفته وزير المحاربين القدماء ، قام ميتران بطرد ٢٣ بالمئة من العاملين في وزارته . لانهم شاركوا في الاضرابات الكبيرة التي شهدتها فرنسا في تلك الفترة .

– من ١١ – ٩ – ٤٨ حتى ٢٦ – ١٠ – ٤٩ كان ميتران وزيرا في الحكومة التي شكلها « كوبل » والتي عرفت ايضا بارتباطاتها الوثيقة بالامبريالية الامريكية . وقد « امتازت » هذه الحكومة بقمعها الشديد لاضرابات عام ٤٨ : توقيف ١٠٤١ شخصا . احكام مختلفة بحق ٣٠٠ شخص . طرد ١٨٠٠ عامل من مناجم « شمال بادي كاليه » . كما انه شارك في جميع الحكومات الرجعية حتى عام ١٩٥٦ .

كما ان تعريجاته ومواقفه العدائية ضد الجزائر معروفة تماما : منها : « ان المعاوضة الوحيدة هي الحرب ... ان الجزائر هي فرنسا ». وفي زيارة الى الجزائر عام ٥٧ ، قال محاطا الضباط الكبار : « لا تتركوا شبرا من كل ذلك – عن الوطنيين – ان فرنسا لن تغادر الجزائر ابدا » كما كان من الذين دافعوا بشدة عن الغزو الفرنسي – البريطاني لمصر ، والاعتداء الصهيوني عليها ابان تاميم قناة السويس ... هذا هو الوجه الداخلي في فرنسا ، وهذه هي الاتجاهات المتصارعة والتي هي جزء لا يتجزا من صراع الاحتكارات الراسمالية الفرنسية ، وليست هذه الانتخابات هي صراع بين الطبقة العاملة والطبقة الراسمالية الحاكمة ابدا . ونستطيع ان نلخص هذا بشكل سؤال : تطوير النضال الثوري من اجل الثورة البروليتارية ام الانكفاء عن هذا التطوير لصالح الصناديق ؟ !..

٢ – السياسة الخارجية

لقد بات واضحا الان ، ان الوضع العالمي قد تغير بشكل ملحوظ وكبير ، سواء على صعيد العلاقات فيما بين الدول الامبريالية او في داخل كل امبريالية على حدة . كما ان الوضع العالمي لم يعد يتسم بالهدوء والركود ، بل بالاضطرابات وتعلت التحالفات القديمة واعادة الاصطفاف من جديد ، في ظل اوضاع عالمية تتغير باستمرار .

كما كانت العبرة التي اسلم فيها ديغول الحكم حتى تنحيه ، من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٩ ، تعبيرا مركزا عن هذا الاتجاه الاستقلالي في السياسة الخارجية بكل مجالاتها . كما ان المرحلة الديغولية ، اتسمت بهذا الاتجاه في عهد بومبيدو . ان جملة المتغيرات الدولية ، وتفاقم التناقضات بين الدول الامبريالية ، قد دفع بفرنسا لتخطو خطوات مستقلة على طريق حماية الاحتكارات الراسمالية التي مثلتها الديغولية. والمطلوب الان هو الحفاظ على الاتجاه الاستقلالي الذي سارت عليه الديغولية عموما ، وبومبيدو خصوصا . فهل ستستمر هذه السياسة في حال فوز اي من ميتران او ديستان .

قلنا ان لديستان علاقات قوية مع امريكا ومع حلف شمال الاطلسي وهو سيسعى لربط فرنسا بامريكا وبذلك الحلف ، مما يعني اعادة فرنسا الى حظيرة امريكا . وبالنسبة لميتران فانه سيحاول القيام بلعبة « قدم هنا وقدم هناك » اي وضع قدم في حلف شمال الاطلسي والاخرى في حلف وارسو . كما ان ارتباطات ميتران بامريكا باشكال مختلفة عن ارتباط ديستان ، لم تعد خافية على احد . لذا ، فان وصول اي من ميتران وديستان سيعني ضرب الاتجاه الاستقلالي لفرنسا في السياسة الخارجية ، ويعني بالتالي توجيه ضربة للثورة العالمية وللوضع الدولي الجديد الذي يعيل لصالح نضال الشعوب ضد الامبريالية وعيمتها وخاصة بالنسبة لنضال شعوب المستعمرات الفرنسية : الفوادلوب والمارتنيك والريونيون وغيرهم

٣ – فرنسا وفلسطين .

لن نخوض في تحليل السياسة الفرنسية تجاه القضية العربية عموما وفلسطين خصوصا ، فهذا يتطلب بحثا طويلا بتطرق لاكثر من جانب واحد .. الا انه نستطيع القول ان حرب تشرين الاول قد غيرت وبالاحرى اجبرت على تغيير مواقف العديد من الدول العالمية الامبريالية والراسمالية من مواقفها تجاه القضية الفلسطينية . وكانت فرنسا على راس هذه الدول . وسنكتفي هنا بطرح مواقف المرشحين المتنافسين على كرسي رئاسة الجمهورية الفرنسية .

جيسكار ديستان موافقه من الكيان الصهيوني معروفة تماما ، فهو ضد نضال الشعب الفلسطيني ودائم قوي لاسرائيل . الا ان موافق فرنسوا ميتران من اسرائيل ونضال شعبنا الفلسطيني هي اكثر عداءا لنا وتاييدا لاسرائيل . هذا ما دفع اسرائيل والمنظمات الصهيونية في فرنسا لكي تقوم بندوات لصالح ميتران . ففي ٢٤ نيسان الماضي اعلنت بعض المنظمات الصهيونية العمالة في فرنسا ، تاييدها لميتران . وهذه المنظمات هي : « حلقة برنار لازار » ، و «اتحاد الطلبة اليهود في فرنسا » ، و«العصبة العالمية المناهضة للعنصرية واللاسامية ». وكان « اتحاد الطلبة اليهود » قد اصدر بيانا في ١٨ نيسان الماضي يقول فيه : « ان تاييدنا لفرنسوا ميتران هو تاييد للحزب الاشتراكي الذي برهن عدة مرات على حرصه على وجود اسرائيل ، بالرغم من كل الانتقادات التي كانت توجه اليه في اوساط اليسار » .

وفي ٢٥ الشهر الماضي ، اجاب فرنسوا ميتران على الاسئلة التي وجهها اليه جان بيار بلوك رئيس « العصبة العالمية المناهضة للعنصرية واللاسامية » ومما قاله : « اكم تعلمون انني انتقدت السياسة الخارجية التي طبقت في هذه الناحية من العالم على يد الجنرال ديغول ، والرئيس بومبيدو، ومؤخرا على يد السيد جوبير ... » فماذا يقصد ميتران ؟ اية سياسة ؟ واية استمرارية ؟ انه يعني كما قال ، المواقف التي اتخذتها فرنسا في عهد ديغول وبومبيدو في مسالة النزاع العربي – الاسرائيلي والتي اضطرت لاخذ بعض المواقف الى جانب العرب .

هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية فان ميتران وحزبه هو عضو في « الاشتراكية الدولية » الموجودة فيه غولدا مائير وحزبها ، ولم ينسى احد بعد اجتماعه مهما في اواخر العام الماضي في مؤتمر « الاشتراكية الدولية » الذي كان يردد فيه تاييده لاسرائيل ووصف العرب بـ « المتدينين » و«الوحوش» .. وايضا مواقفه الاخيرة الى جانب الدعاية الصهيونية التي تقوم حول ما يسمى بالعاصفة اللاانسانية للاسرى الاسرائيليين في سوريا .

هذه باختصار شديد الجوانب الرئيسية التي يجب أن يتناولها اي تحليل علمي وموضوعي للانتخابات الفرنسية ، وكشفها وتعريتها على انها انتخابات تمثل الصراع بين الاحتكارات الراسمالية فيما بينها فقط . فسواء بالنسبة لميتران او ديستانج فهما يمثلان قطبين للاحتكارات الفرنسية ولا يمثلان اي شيء آخر ...

تعليق

انقلاب البرتغال وتصاعد الثورات الافريقية و"الانتخابات" في جنوب افريقيا ، دليل على قرب رحيل الاستعمار

ربما الجنرال سبينولا من القلائل الذين انقلوا فجاة من وراء كواليس الحياة العامة الى الاضواء ، ولكن بتوالي احداث سريعة متعاكسة. فمن « بطل » الحرب الاستعمارية البرتغالية في موزامبيق (وغينيا – بيساو) الى منصب مساعد رئيس اركان القوات المسلحة الذي اشتهر خصوصا له ، الى مؤلف لكتاب « البرتغال والمستقبل » الذي اثار ضجة وتفاعلات داخل القوات المسلحة الى جنرال معزول ، ومن ثم الرجل القوي في البرتغال .

وقد حاول سبينولا منذ عودته الى البرتغال وبعد تحركه الذي اوصله الى السلطة اخيرا ، ان يغطي حقيقة دوره المنقذ للامبراطورية البرتغالية المتعفنة ، بقناع المنقذ للشعب البرتغالي الذي عانى لعقود طويلة من نظام حكم ديكتاتوري مقيت، والمنقذ للافريقيين الخاضعين منذ عقود طويلة للاستعمار البرتغالي في انغولا وموزامبيق وغينيا – بيساو .

ولكن سبينولا لم يستطع المحافظة طويلا على قناعه الافريقي . وكان واضحا منذ البدء في نواياه الافريقيه ، عندما عبر عن مفهومه لتسوية سياسية تنهي الحرب الاستعمارية في افريقيا ، بطرح فكرة منح المستعمرات استقلالا ذاتيا ضمن اطار اتحاد بشكل «كومنولث برتغالي» ، يضمن الحفاظ على المصالح الاستعمارية البرتغالية هناك .

ولم تكد قيادات الثورة الافريقية في المستعمرات تعبر عن موقفها الصريح الثابت من هذه الفكرة معلنة المزيد من التصعيد النضالي فيما بينها والمضي في القتال حتى الاستقلال الكامل عن الاستعمار البرتغالي ، حتى بادرها الجنرال سبينولا باقتراح اخر ساهم اكثر في فضح نواياه الحكم الجديد في تشبثه تجاه المستعمرات والثورات التحررية الوطنية فيها . فقد دعا سبينولا الثوار الى وقف القتال والقاء السلاح من اجل التفاوض مع تشبثه حول مستقبل المستعمرات .

وفي الاسبوع الماضي مضى سبينولا بفضح حقيقة نواياه من المستعمرات عندما وعد مستعمرة انغولا تعيين « حاكم ابيض بقلب افريقي» (!)

في الواقع ان افريقيا حاليا ، تعيش ثلاثة احداث هامة ستجعل افريقيا الجنوبية والبرتغال بالتاكيد ، محط انظار المراقبين السياسيين ولبداية سادسها ، بل كانت تراكما لجملة تطورات تفاعلت حتى وصلت الى ما وصلت اليه .

١ – الانقلاب العسكري في البرتغال الذي قاده « افكار » سبينولا اولا ، وهو شخصيا فيما بعد ، وهذا الانقلاب يبقى في محصلته النهائية انقلاب على نمط الحكم الاستعماري القديم ، والذي هو الوحيد الباقي في عالم اليوم . واصبح استمرار هذا الحكم يهدد ، ليس فقط انفتاحه على العالم ومن ضمنه دول امبريالية ، بل يهدد حتى ركائز هذا الحكم ، سواء على صعيد الوضع الاقتصادي والسياسي الداخلي ، وسواء على صعيد الوجود الاستعماري البرتغالي في انغولا وموزامبيق وغينيا – بيساو.

٢ – وهذا الحدث مرتبط بالاول ، وهو اصلا ليس حدث آني ، انما هو حصاد مستمر منذ اكثر من عشر سنوات . نعني به نضال الثوار الافريقيين في انغولا وموزامبيق وغينيا – بيساو . فقد تمكنت هذه الثورات الثلاث من تحقيق منجزات نضالية ، سياسية وعسكرية ، بعد اكثر من عشر سنوات ، تمكنت هذه الثورات الثلاث خلالها ، ان توجه ضربات قاسية للمستعمرين البرتغاليين، ففي غينيا – بيساو لم يبق للوجود البرتغالي سوى مراكز في اربعة مدن فقط ، بينما اعلن اكثر من نصف مالكه من البلاد اراض محررة من قبل الثوار ، واعلنوا تاسيس جمهورية غينيا – بيساو في ايلول الماضي . وفي موزامبيق تمكن الثوار من تحرير اكثر من ثلث الاراضي والسكان ، وكذلك في انغولا حيث الثورة هناك اشتد نضالها لتوطيد وطرد المستعمر من بلادها .

وهذه الثورات الثلاث اثرت تاثيرا مباشرا على الوضع في البرتغال ، اضافة لازمة البرتغال الداخلية ونضال الحركة الثورية والوطنية والديمقراطية في ذلك البلد . ومن الخطا تماما تفسير الانقلاب العسكري في البرتغال على انه ناتج عن صراع مراكز قوى داخلية ، او لحاجات امبريالية خارجية فقط . فهكذا تفسير يعني تعاميا مطلق ونعني منبوءة لنضال الشعب الافريقي ضد الوجود الاستعماري البرتغالي في افريقيا .. وطرح المسالة البرتغالية بذلك الشكل المتعامي ، ما يروج له الصحف ووسائل الاعلام الامبريالية والمرتبطة بها .

٣ – والحدث الثالث ، يرتبط بالحدثين الاولين من حيث هو تثبيت على ان الشعوب الافريقية قد صممت من نضالها التحرري ضد الاستعماريين ، القديم والجديد ، وضد انظمة الحكم العنصرية في افريقيا الجنوبية . وهذا الحدث ينطبق « بالانتخابات » التي جرت مؤخرا في جنوب افريقيا ، والتي فاز بها مجددا جون فورستر وحزبه المسمى « الحزب الوطني» والذي « تسلم » الحكم منذ عام ١٩٤٨ . وسرحية الانتخابات وان كانت تجري دائما في جنوب افريقيا ، الا انها هذه المرة قد تميزت بحملة انتخابية ،كان طابعها القتل والارهاب والاعدامات بالجملة للوطنيين الافريقيين الجنوبيين ، في محاولة للجم المد الوطني المتعاظم في ذلك البلد .

الحملة الانتخابية تميزت بحملة شنها البوليس البري لاغتيال الزعماء الافريقيين الوطنيين واعدام ثمانية مواطنين ، رميا بالرصاص ، بحجة انهم يتعاونون مع الثوار ويناوئون الحكم العنصري . ولم يكتف العنصريون بهذا بل اخذوا يلاحقون هؤلاء القادة الى خارج البلاد ، بعد ان اضطروا لترك جنوب افريقيا واللجوء الى البلاد المجاورة ، وقد قتل مؤخرا احد زعماء المؤتمر الوطني الافريقي ،بحادث انفجار طرد بريدي ملغوم ، في لوساكا عاصمة زامبيا ، كما قتل احد مسؤولي منظمة الطلاب في جنوب افريقيا ابراهام نيرو ، بحادث انفجار مماثل في غابورون بيوسواتانا .

ان الحكومات العنصرية في روديسيا وجنوب افريقيا قد تاثرت تاثيرا سلبيا كبيرا من جراء الانقلاب العسكري الذي جرى في البرتغال . فهذه الحكومات تعتمد اعتمادا كبيرا على القوات البرتغالية ، وتشترك معها ، في الحرب ضد الثوار ، سواء في المستعمرات البرتغالية او في روديسيا وجنوب افريقيا . وكان اخر عملية عسكرية مشتركة قد جرت في ٢٣ نيسان الماضي حين شنت جريدة « الفارس » البريطانية النقاب عن مجزرة جديدة ارتكبتها القوات البرتغالية في موزامبيق ، بالتواطؤ والتعاون مع قوات الاقلية العنصرية البيضاء في روديسيا . وقد قالت الصحيفة ان الروديسيين والبرتغاليين امروا بمهاجمة القرى الافريقية وعدم اخذ اسرى اطلاقا ، بل قتل كل من يجدونه في طريقهم ، وانهم ذبحوا الثمانين من افراد القبائل ، وكان المبشرون الكاثوليك قد كشفوا في العام الماضي النقاب عن ان الجنود المتعصبين قتلوا سكان قرية ويرياموسنة ١٩٧٢ .

ان هذه الاحداث الثلاثة ، بترابطها مع بعضها ، تشير بكل وضوح الى ما يعتبر القارة الافريقية من ازمة حادة ، على صعيد الوجود الاستعماري في افريقيا والحكومات العنصرية فيها ، وهي تشير بكل وضوح الى اقتراب ساعة الحسم بالنسبة للقارة الافريقية باسرها ، وخاصة الثوارات المشتعلة في الهلب المناطق الافريقية .